مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح
الزيارة الجامعة الكبيرة

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّـون

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 10 / 06 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ والصّلاة عَلىَ رَسولِ الله وآلِهِ آلِ الله

واللَّعْنُ على أعدائِهم وأَعْدَاء شِيعَتِهم أَعْدَاء الله إلى يَومِ لقاءِ الله

الحلقة الثالثة عشر

معنى وَسَاسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ

كلامنا متواصلٌ في بيان معاني الزيارة الجامعة الكبيرة، أقول أسعد الله أوقاتكم وتقبل الله أعمالكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصل بنا الكلام في هذه الزيارة الشريفة إلى قولهِ عليه السلام: **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ.** وهذان العنوان متعانقان أيضاً كما مر في العناوين السابقة، مرَّ علينا الكلام مثلاً في قول الزيارة: **وَمُنْتَهَى الحلم، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ.** كل هذه العناوين كانت متعانقة فيما بينها، هذان العنوانان متعانقان أيضاً فيما بينهما – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** – ما المراد من الساسة؟

في لغة العرب الساسة جمعٌ لسائس والسائس قد تأتي بمعنى القائد وهنا لا يُقصد هذا المعنى فقد مرَّ علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَقادَةَ الأُمَمِ** – والسائس أيضاً تأتي بمعنى المُدَبِّر المُرَبّي، والمراد من الساسة هنا هو هذا المعنى – **وَساسَةَ الْعِبادِ** – هم المدبرون لأمر العباد المربون لهم، الراعون للعباد وأمورهم، العباد جمعٌ لعبد والعبد هو المملوك الذي يملكه سيده، وكما تقول الروايات العبد وما في يده لمولاه – **وَساسَةَ الْعِبادِ** – المُشار هنا في هذا العنوان من الزيارة الجامعة الكبيرة إلى سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ في العباد، وتدبير أمور العباد إنَّما ذكر بهذا العنوان في الزيارة بعنوان سياسة العباد فالعباد هم المظهر الأجلى من المخلوقات التي يسوسها مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، وسياسة مُحَمَّدٍ وآلُ مُحَمَّد للعباد لها مظاهر ومراتب وهذا ما سأأتي على بيانه.

نلقي نظرةً إجمالية على بعضٍ من آيات الكتاب الكريم فنذهب إلى سورة القلم، في الآية الرابعة الخطاب للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أنا لست هنا في مقام شرح هذه العبارة، هذه الكلمة التي لا تستطيع لغة العرب بكل ما فيها أن تشرح معناها ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وإنَّما نفهم من معانيها ما يرشح في فناء الآيات، الآية هنا تتحدث عن خُلُقِ رسول الله صلى الله عليه وآله، والمراد من الخُلُق الجنبة النفسية والجنبة العملية التي تكون جهة ارتباطه بالمخلوقات، الأخلاق ما هي؟ الأخلاق هي التصرفات، التصرفات الفعلية والقولية التي تنشأ من حالةٍ نفسية، الإنسان حينما يصدق في

قولهِ فهو يتصرف بتصرف فعلي وقولي لكن هذا الصدق منشئه من أين أتى؟ منشأ الصدق في نيته الداخلية، هو صادقٌ فيما بينه وبين نفسه، في داخله صدق هذا الصدق يُترجمُ إلى قولٍ وإلى فعلٍ في الحياة، فالأخلاق هي جنبة قولية وفعلية منشئها ومردها إلى جذورٍ نفسية إلى جذورٍ معنوية في باطن خلجات النفس البشرية، وهي الجهة التي يتعامل بها الإنسان أو يرتبط بها الإنسان مع غيره، خُلُق الإنسان ليس فقط مع الإنسان حتى مع الحيوان حتى مع الجماد، كيف يتعامل الإنسان مع الجماد، كيف يتعامل الإنسان مع البيئة التي يعيش فيها، كيف يتعامل الإنسان حتى مع الحيوانات، لكن المنظور بالدرجة الأولى هو تعامل الإنسان مع الإنسان، كيف يتعامل الإنسان مع الله وهذا أيضاً من مراتب خُلُق الإنسان في التعامل مع الله.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ هذا الخُلُق العظيم بالدرجة الأولى مع الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى يصف نبيه بأنه على خلق عظيم حين يتعامل مع الله، فالنبي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله رسول والرسول له جهة يتعامل بها مع مُرسله، وله جهة يتعامل بها مع من أُرسِلَ إليه، وله جهة يتعامل بها مع نفس الرسالة، هناك مُرسِلٌ وهو الله وهناك رسالة يحملها الرسول وهناك جهة أرسل إليها الرسول، حينما يخاطبه الباري ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ هذا الخُلُق العظيم مع الله مع الرسالة مع الذين أُرسل إليهم، وهذه هي مادة السياسة، هذه هي المادة التي يسوس مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ بها العباد ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ الخُلُق العظيم هو مادة هذه السياسة، سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد مادتها وطينتها وجوهرها هو هذا المعنى الذي جاء في هذه الآية ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وهذا المعنى لم يتجلى لنا ولم يتجلى لكل الكائنات بتمام حقيقتهِ، لماذا؟ لأن كل الكائنات دونهم في الفضل، وإنَّما هم يتعاملون مع الكائنات بحسب حاجة الكائنات، يتعاملون مع العباد بحسب حاجة العباد، هذه الآية حاكمةٌ على كل المعاني التي جاءت في الكتاب الكريم تحدثنا عن أخلاق رسول الله، هذه الآية هي الآية الحاكمة، هي الآية العليا التي لها اليد المبسوطة على سائر الآيات الأخرى، مثلاً ما جاء في سورة آل عمران، الآية التاسعة والخمسون بعد المئة وهي تخاطب النبي الأعظم ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ كل هذه مظاهر سياسة النبي مع أُمَّته مع أصحابه مع العباد، ولكن هذا المعنى هو داخلٌ في تلكم الآية، الآية معناها أوسع، الآية في سورة القلم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ هذه هي الآية الحاكمة،

كل هذه المعاني داخلة في جوف تلكم الآية ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ الفظ هو القاسي الشديد، الفظ هو الجافي ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فاعفُ عنهم، استغفر لهم، شاروهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل، وما كنت فظاً وما كنت غليظ القلب وإنَّما كنت معهم في غاية الرحمة ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ كنت ليناً وكلمة النبي الأعظم تصك مسامعنا دائماً تتردد في أذاننا دائماً: **ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه.** الرفق هو اللين، هذا شعارٌ من أهم شعارات رسول الله صلى الله عليه وآله في سياسته للعباد – **ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه** – إلا زانهُ يعني إلا زَيَّنَهُ، جَمَّلَهُ، حَسَّنَهُ.

كذلك ما يأتينا في الآية الثامنة والعشرين بعد المئة من سورة التوبة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ما عَنِّتم ما أصابكم من العَنَت وهو الشدة والتعب والكد والألم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ هذه مصاديق، مظاهر، صور من سياسة النبي الأعظم وهي سياسة عليٍّ وآل عليّ، هذه هي سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد لكنها تَمتُ إلى تلكم الآية الكبيرة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذه الأوصاف إن كان في آية سورة آل عمران ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يعزُّ عليه أن يصيبكم الألم، أن يصيبكم الأذى ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ الحريص الذي يكون فِكرهُ مشغولاً بكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا الحرص وهذه الرأفة وهذه الرحمة كلها من مصاديق الخُلُق العظيم، لكن تبقى آية سورة القلم هي الآية الحاكمة والآية الوسيعة. كما قلت في أول حديثي بأن اللغة العربية بكل اشتقاقاتها وبكل قواميسها، وبكل بلغائها لن تستطيع أن تتحدث عن جانبٍ يسير من تلكم الآية، الله هو الذي يصفها بالعظمة، الله سبحانه وتعالى هو الذي وصف هذا الخلق بالعظمة، الشيء الذي يصفه الله سبحانه وتعالى بالعظمة هل تستطيع اللغات والألسنة وهل يستطيع مثلي وأمثالي أن يكشفوا عن حقائق هذه العظمة؟!

وأيضاً ما جاء في سورة الجمعة في الآية الثانية ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ هذه صورة أخرى، مظهر آخر من سياسة العباد، من السياسة المُحَمَّدية، هذه هي السياسة المُحَمَّدية يا سائلاً عن سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هذه سياسة عليٍّ وآل عليّ، ليست السياسة الأكاذيب والاحتيال، ليست السياسة التزوير، ليست السياسة الوعود الكاذبة، ليست السياسة أن تجمع الأموال وأن تكدس الذهب والفضة، السياسة هي هذه سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ كل هذه مظاهر ومصاديق لهذه الآية في سورة القلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا الخُلُق العظيم هو مادة السياسة، مادة السياسة هذه هي سياسة الخلق طراً، وإنَّما جاءت الزيارة تتحدث عن العباد عن البشرِ بنحوٍ خاص، وإن كان الملائكة من العباد والجان من العباد لكن المتبادر إلى الأذهان دائماً والسبب في ذلك أن الإنسان ناظرٌ إلى نفسه فقط مشغولٌ بحاله وهذا نتيجة ضعفه ونتيجة جهلهِ ونتيجة محدودية عقلهِ ونتيجة ضيق الأفق الذي يعيش فيه، الإنسان دائماً مشدودٌ إلى نفسهِ كما قال صلى الله عليه وآله: **صاحب الحاجة أعمى لا ينظر إلا إلى حاجته**. والإنسان حاجتهُ نفسه، يسعى دائماً ويدور حول نفسه فلذلك لا يرى إلا نفسه، فهو أعمى، أعمى عن الحقائق لا يرى إلا نفسه، ولو أدعى بعضنا بأنه يرى شيئاً خارج نفسه فإنَّما يرى ذلك على سبيب العشو فهو يعشو، يراها أشباحاً من بعيد لأننا ننظر إلى الدين من خلال أنفسنا، وحتى ننظر إلى الله من خلال أنفسنا، وننظر إلى كل شيءٍ من خلال أنفسنا، قطعاً هذا لا يتعارض مع المعنى الكبير الذي أشارت إليه الأحاديث من عرف نفسه فقد عرف ربه أنا لا أتحدث عن هذه الجهة هذه الجهة الواسعة في النفس الإنسانية

أتزعم أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

من عرف نفسه فقد عرف ربه، تلك الجهة الأوسع الحديث ليس هنا عن الجهة الأوسع، حديثي عن الجهة الضيقة، عن الجهة التي نحبس أنفسنا دائماً فيها، الدنيا سجن المؤمن، ودنيانا أنفسنا، هذا الحبس المظلم الذي نعيش فيه فلا ننظر إلى الأشياء إلا من خلال أنفسنا، الناظور الذين ننظر فيه إلى الأشياء حتى إلى الله سبحانه وتعالى من خلال أنفسنا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذه مادة السياسة ولذلك هذا الخُلُق العظيم يتناسب مع الآية الكريمة ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ هذا المُلك العظيم يحتاج إلى سياسة عظيمة ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ المُلك

العظيم يحتاج إلى سياسة عظيمة، والسياسة العظيمة أين هي مادتها؟ مادتها في قول الله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذه هي مادة السياسة العظمى والسياسة العظمى هي سياسة ذلك المُلك العظيم، الله سبحانه وتعالى آتى آل إبراهيم آتاهم الكتاب والحكمة ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ هذا المُلك العظيم ليس مقصوراً على نفسي وعلى أسرتي وعلى أقربائي وعلى شؤوني وعلى جمعٍ محدودٍ من البشر، ليس محدوداً على بلدٍ من البلدان أو على مدينة من المدن، هذا المُلك العظيم ليس محصوراً بشيعة أو بسنة أو بيهود أو نصارى أو بوذيين، ليس محصوراً ببابسة وبماء، بشمسٍ أو بقمر، هذا هو المُلك العظيم، الله سبحانه وتعالى يصفُ هذا المُلك بالمُلك العظيم في الوقت الذي الدنيا بكلها وبكل ما فيها وبكل أسرارها وبكل كنوزها المودعة في باطن الأرض وفي باطن البحار فإنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، أيُّ مُلك عظيم إذاً؟!

هذا هو الملك الواسع الذي لا حدود له، والذي نسأل الله سبحانه وتعالى به في دعاء البهاء: **اللَّهُمَّ إني أسألك من مُلكك بأفخرهِ** ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ هذا المُلك الأفخر، هذا المُلك الأعظم يحتاج إلى سياسةٍ أعظم، السياسة الأعظم أين هي؟ السياسة الأعظم عند مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ومادتها في هذه الآية ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وأنا قلت لا تستطيع عربيتي ولا عربية غيري ولا قواميس اللغة لا في لغة العرب ولا في غيرها أن تتحدث عن جانبٍ يكشف عن نزرٍ يسير من معنى قوله سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ كل الذي أفهمه بكل قدرة الخيال التي أملكها وبكل قدرات التصور التي أملكها وبما عندي من معلومات قليلة في اللغة في أوفي غيرها بكل الإشارات الذهنية، بكل الخطرات القلبية، بكل الخيالات، كل هذه المعاني أجمعها جميعاً وأركمها البعض فوق البعض الآخر كي أتصور شيئاً من بعيدٍ أن هذه الآية تتحدث عن شيءٍ عظيم ما هو؟ لا أدري، وغاية الإدراك أن أدري بأني لست أدري. فالحديث هنا عن مُحَمَّد، لأن هذا الخُلُق كما قلت قبل قليل الخُلُق في الإنسان العادي تصرف قولي وفعلي جذره في القلب، الخُلُق هنا جذرهُ في قلب مُحَمَّد فمن ذا الذي يستطيع أن يعرف ماذا يدور في قلب مُحَمَّد، ثم من ذا الذي يستطيع أن يعرف سعة قلب مُحَمَّد، ذلك القلب الذي قال عنه سبحانه وتعالى: **ما وسعتني سماواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن**. أتظن أن هذا القلب هو قلبي وقلبك، قلوبنا هذه التي مُلئت بالذنوب والمعاصي، قلوبنا هذه التي أظلمت بالجهل والغفلة، هي هذه القلوب التي وسعت الله؟!

ما وسعتني سماواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن. الكلمة التي تشرح المعنى صريحاً في الأحاديث الشريفة: **قلب المؤمن عرش الرحمن**. يعني أن الرحمن استوى على هذا القلب، الرحمن أليس

هو المستوي على العرش فقلب المؤمن عرش الرحمن، فالرحمن هو المستوي على هذا القلب ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ هذه الرحمة هي صورة، صورة من استواء الرحمانية على قلب مُحَمَّد، بل الرحمانية تتجلى من قلب مُحَمَّد، وقلب مُحَمَّد مرآة الرحمة والرحمانية، وذلك شيءٌ من معنى سياسة العباد، المعاني في هذا العنوان وفي العناوين الأخرى التي مرت علينا تتعانق وتتسق في كثيرٍ من جهاتها.

وَساسَةَ الْعِبادِ، لا زال الكلام في هذه الفقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة، لنبين معنى العباد ثم نعود إلى سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، العباد جمع لعبد ونحن عبادٌ لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ونحن عبيدٌ لمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، والعبودية لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد على مظاهر، هناك عبودية الطاعة، عبودية الطاعة التي جاء ذكرها في هذه الرواية في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، **عن مُحمَّدٍ بن زيدٍ الطبري قال: كنتُ قائماً على رأس الرضا عليه السلام بخراسان وعنده عدةٌ من بني هاشم** – من بني هاشم حينما تستعمل هذه العبارة وفي جو خراسان وعند الإمام الرضا في الغالب يُراد منهم العباسيون – **وعنده عدةٌ من بني هاشم وفيهم إسحاقُ بن موسى بن عيسى العباسي فقال:** – الإمام يخاطب إسحاق العباسي هذا – **فقال: يا إسحاق بلغني أن الناس يقولون إنا نزعم أن الناس عبيدٌ لنا، لا وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله، ما قلتهُ قط ولا سمعتهُ من آبائي قاله ولا بلغني عن أحدٍ من آبائي قاله** – يعني أن الأئمة ما قالوا هذه الكلمة الناس عبيدٌ لنا – **ولكني أقول الناس عبيدٌ لنا في الطاعة موالٍ لنا في الدين فليبلغ الشاهد الغائب** – الذين يعرفون لحن أهل البيت ويعرفون الطريقة التي يتكلم بها الأئمة صلوات الله عليهم فإن هذه الرواية تشوبها التقية هي في جوٍ من التقية، والتقية على مراتب، الإمام هنا بيَّن جانباً وسكت عن جانبٍ آخر، الإمام هنا أثبت لنا عبودية الطاعة – **ولكني أقول الناس عبيدٌ لنا في الطاعة** – لكن العبودية لأهل البيت لا تقفُ عند هذا المعنى، الرواية هنا في الكافي الشريف ثبتت هذا المعنى، ثبتت أن الناس هم عبيد لأهل البيت في الطاعة، هم عبيد طاعة.

ولكننا مثلاً نقرأ في الاستئذان لزيارة الأئمة صلوات الله عليهم لزيارة النبي والأئمة، ماذا نقرأ في الاستئذان، هذا الاستئذان موجود في مفاتيح الجنان وها هو بين يدي صفحة 313: **اللهم فأذن لنا بدخول هذه العرصات** – أيّ عرصات؟ المراد المشاهد المُشَرَّفة المُكرَّمة ونحن نقف على أبوابهم فنقول – **اللهم فأذن لنا بدخول هذه العرصات التي استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسماوات** – هناك استعبادٌ – **استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسماوات وأرسل دموعنا بخشوع المهابة وذلل جوارحنا** – بأي شيءٍ؟ – **بذل العبودية وفرض الطاعة** – فهناك عبودية وهناك فرض الطاعة، فرض الطاعة هي عبودية

الطاعة التي أشار إليها إمامنا الرضا في الحديث الذي قرأتهُ على مسامعكم من كتاب الكافي الشريف، معي مع هذا النص المشحون بالمعاني – **فأذن لنا بدخول هذه العرصات التي استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسماوات وأرسل دموعنا بخشوع المهابة وذلل جوارحنا بذل العبودية وفرض الطاعة حتى نُقِرَّ بما يجب لهم من الأوصاف ونعترف بأنهم شفعاء الخلائق** – إلى آخر الاستئذان – **حتى نُقِرَّ بما يجب لهم من الأوصاف** – ما هي هذه الأوصاف التي نُقِرُّ بها ونحن نطلب من الله أن يرسل دموعنا بخشوع المهابة وأن يذلل جوارحنا بذل العبودية وفرض الطاعة، هذه الأوصاف أننا نصفهم هم السادة ونحن العبيد، ما هي هذه الأوصاف التي نُقر بها؟ هم الموالي ونحن عبيدهم، رحمة الله على الشيخ الحر العاملي وهو يخاطب سيد الأوصياء:

وإني له عبـدٌ وعبـدٌ لعبدهِ وحاشاه أن ينسى غداً عبدهُ الحرَ

موطن الشاهد – **وذلل جوارحنا بذل العبودية وفرض الطاعة** – الاستئذان هنا يتحدث عن فرض الطاعة وهو عبودية الطاعة، وأما العبودية ما هي؟ فهي المعنى الأوسع، في زيارة سيد الشهداء، في زيارة أبي عبد الله الحسين والزيارة هذه مروية عن إمامنا الصادق وهي من أجمل الزيارات الحسينية، هذه هي الزيارة السابعة في الزيارات المطلقة من زيارات الحسين عليه السلام في مفاتيح الجنان، ماذا نخاطب سيد الشهداء ونحن نقف في حضرتهِ، وأنا أخاطبهُ من هنا، أخاطبه من هذا المكان البعيد، نحن هكذا نعتقد في زيارات أئمتنا في الاستئذان حينما نستأذن لنزور ماذا نقول في الاستئذان؟ نقول – **اللَّهُمَّ إني أعتقد حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبتهِ كما أعتقدها في حضرتهِ** – فآلُ مُحَمَّد غائبون شاهدون، شاهدون غائبون، وما غاب آلُ مُحَمَّد – **اللَّهُمَّ إني أعتقد حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبتهِ كما أعتقدها في حضرتهِ** – هذا في الاستئذان موجود في المفاتيح صفحة: 311 – **وأعلم أن رسولك وخلفائك عليهم السلام أحياءٌ عندك يرزقون يرون مقامي ويسمعون كلامي ويردون سلامي وأنك حجبت عن سمعي كلامهم** – سمعي هو المحجوب، سمعي هو الغائب، هم ليسوا بغائبين أنا الغائب – **وأنك حجبت عن سمعي كلامهم** – ولكن – **وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم** – وتلك منّةٌ كيف أشكرها يا ربي – **وأنك حجبت عن سمعي كلامهم وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم** – وكلما قلت لك الحمد يجب عليَّ أن أقول لك الحمد، فكيف أشكرك يا ربي، فأنا أخاطب الحسين كما تخاطبهُ أنت أيها الزائرُ – **السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا ابن رسول الله** – قلت هذا في الزيارة السابعة المطلقة عن صادق الآل – **السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا ابن رسول الله السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين** – يا حسين – **عبدك وابن عبدك وابن أَمَتك** – لستُ أنا عبداً وحدي أنا عبدٌ وأبي عبدٌ وجدي

عبدٌ وأمي أَمَةٌ وكلنا عبيدٌ لك يا ابن رسول الله – **عبدك وابن عبدك وابن أَمَتك المُقرُّ بالرق** – هذه عبودية الرق، ذلل جوارحنا بأي شيءٍ؟ مرَّ علينا: بذل العبودية وفرض الطاعة، هذه العبودية هنا شُخِّصت ومُيِّزت في زيارة الحسين – **عبدك وابن عبدك وابن أَمَتك المُقرُّ بالرق والتارك للخلاف عليكم والموالي لوليكم والمُعادي لعدوكم قصد حرمك** – ناداك من هذا المكان البعيد وأنا أعلم علم اليقين أن التضاريس الأرضية لا تحول بيني وبينك أبا عبد الله – **عبدك وابن عبدك وابن أَمَتك** – موطن الشاهد هنا – **المُقرُّ بالرق** – أعود إلى الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَساسَةَ الْعِبادِ** – إذاً المراد من العباد هذا المعنى وهذه صورة من معنى العبودية، العباد جمعٌ لعبد والعبد هو المملوك، العبد هو المتلبس بصفة العبودية من هو العبد؟ العبد هو المتلبسُ بصفة العبودية، والمتلبس بصفة العبودية هو المملوك، والحديث هنا عن عبوديةٍ لا بمعنى عبودية الرق العرفي، ربما يذهب صاحب الأموال إلى سوق النخاسة فيشتري عبداً بأمواله ويقال له في الفقه بأنهُ يملك العبد وما في يدهِ وهذا صحيح، لكن هذه الرقية هذه رقيةٌ عرفية، الرقية هنا أن المعصوم عليه السلام أن النبي الأعظم هو أولى منا بأنفسنا، أولى منا بأنفسنا يعني هو مالكٌ لوجودنا ليس مالكاً للجانب الشخصي كما في الرقية العرفية، الرقية العرفية هي مِلكٌ للجانب الشخصي وإلا نحن عندنا في باب العتق والانعتاق في الفقه الشرعي أن المولى إذا نَكَّلَ بعبدهِ فإن العبد ينعتق، هناك العتق في الفقه وهناك الانعتاق، العتق أن المولى هو برغبتهِ يعطي لعبدهِ الحرية، أما الانعتاق هناك حالات العبد يكون حراً رغم أنف المولى سواء رضي أم لم يرضى، متى؟

إذا نَكَّلَ المولى بعبدهِ، كما كان مثلاً يفعلون في الأزمنة القديمة بأن المولى يُنَكِّل بعبدهِ مثلاً يعاقبهُ مثلاً بقطع عضوٍ من أعضائهِ كأن يقطع أصبعاً من أصابعه، كأن يقطع أنفه، كأن يقطع أذنه، كأن يقطع مذاكيره وهكذا كان يفعلون بالعبيد فهذا يسمى بالتنكيل، فإذا نَكَّلَ المولى بعبدهِ أنعتق، حينئذ لا يملكه وصار العبد حراً رغم أنف المولى، فإذاً المالكية هي مالكية للشخصية وليس للعبد بحقيقتهِ، إنَّما هو مالكٌ لشخصية العبد، يعني في إطار تصرفاتهِ، في إطار قوتهِ البدنية، في إطار ما يمكن أن ينفعه وهذا هو الجانب الشخصي من العبد، أما العبد كموجود لا يملكهُ المولى، فهذه الرقية رقية عرفية، رقية تسالم عليها الناس ورتبوا عليها آثاراً وحينما جاءت الشرائع السماوية فأقرتها أقرت هذا الجانب العرفي الجانب المجتمعي البُعد الشخصي، أما الحديث هنا عن رقية بمعنى أوسع، عبودية أوسع، رقية أوسع، هو أولى منا بأنفسنا، والمعنى مع ذلك أوسع وأوسع لكنني أكتفي بهذه الإشارات – **وَساسَةَ الْعِبادِ** – والحديث هنا عن البشر كما قلت لأن النظر في الزيارة بالدرجة الأولى للبشر للناس ولأن الإنسان يمثل الصورة الأمثل فيما بين المخلوقات خصوصاً ونحن نتحدث عن العالم الأرضي الذي استُخلِف فيه الإنسان – **وَساسَةَ الْعِبادِ** – تحدثت عن جانبٍ من معنى

السياسة هذه وتناولت آياتٍ من الكتاب الكريم وتحدثت بنحوٍ موجز عن معنى العباد والعبودية وما معنى عبوديتنا للنبي وآل النبي، في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين هناك سطورٌ في غاية الوضوح تتحدث عن جوانب من السياسة العملية لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد لأئمتنا، سياسة أهل البيت منها ما هو خفيٌ وهي سياستهم الكونية ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ وهناك سياسةٌ جلية ظاهرة وهي سياستهم للعبيد أمثالنا، في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين وهي من الزيارات الجميلة جداً وللأسف فإن الكثير من المؤمنين لا يقرءونها مع أنها موجودة في المفاتيح وربما ما قرءوها ولو مرة واحدة، ماذا في هذه الزيارة؟

وأشهدُ أنَّكُم – نخاطب الأئمة صلوات الله عليهم – **وأشهدُ أنَّكُم قد وفيتم بعهد الله وذمته وبكل ما اشترطهُ عليكم في كتابه ودعوتم إلى سبيله** – هذه هي سياستهم في العباد – **وأشهدُ أنَّكُم قد وفيتم بعهد الله وذمته وبكل ما اشترطهُ عليكم في كتابه ودعوتم إلى سبيله وأنفذتم طاقتكم في مرضاته وحملتم الخلائق على منهاج النبوة ومسالك الرسالة وسرتم فيه بسيرة الأنبياء ومذاهب الأوصياء سادتي فلم يُطع لكم أمر ولم تُصغى إليكم أذن فصلوات على أرواحكم وأجسادكم** – هذا جانبٌ من سياستهم في المجتمع البشري، في المجتمع الإيماني، ثم تنكب على القبر وتقول حينما تزور أحد الأئمة – **بأبي أنت وأمي يا حُجَّةَ الله لقد أُرضِعت بثدي الإيمان وفُطِمت بنور الإسلام وغُذِيت ببرد اليقين وأُلبِست حُلل العصمة واصطُفيت وورثت علم الكتاب ولُقِنت فصل الخطاب وأُوضِح** – هنا تبدأ السياسة – **وأُضِح بمكانك معارف التنزيل وغوامض التأويل وسُلِّمت إليك راية الحق وكلّفت هداية الخلق ونُبِذَ إليك عهد الإمامة وألزمت حفظ الشريعة وأشهد يا مولاي أنك وفيت بشرائط الوصية وقضيت ما لزمك من حد الطاعة ونهضت بأعباء الإمامة واحتذيت مثال النبوة في الصبر والاجتهاد والنصيحة للعباد وكظم الغيض والعفو عن الناس وعزمت على العدل في البرية والنَصَفَةِ في القضية ووكدت الحُجَجَ على الأُمَّة بالدلائل الصادقة والشريعة الناطقة ودعوت إلى الله بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة فَمُنِعتَ** – بأبي أنت وأمي – **فَمُنِعت من تقويم الزيغ وسد الثُلم وإصلاح الفاسد وكسر المعاند وإحياء السنن وإماتة البدع حتى فارقت الدنيا وأنت شهيد** – وكلهم شهداء كلهم قُتلوا من رسول الله وإلى إمامنا الزاكي العسكري – **وأنت شهيد ولقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت حميد صلوات الله عليك تترادف وتزيد** – إلى آخر الزيارة الشريفة.

هذه العبائر وهذه الجُمَل وهذه البيانات في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين تُحدِّثُنا عن جانبٍ من سياسة مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا يؤكد ما أقوله دائماً من أن الزيارات هي كنوزٌ للمعارف وللعقائد وللحكمة وللحقيقة وبابٌ واسعٌ فتحهُ لنا أهل البيت لمعرفتهم وللعيش في أجوائهم كي نتفيأ في

أفيائهم الوارفة الشريفة، كي نتلمس شيئاً من عطرهم، كي نشرب شيئاً من مائهم العذب الزلال، زياراتهم وأدعيتهم ومناجياتهم كلها تصبُ في هذا المجرى الشريف – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** – هم ساسة العباد وهم أركان البلاد أيضاً، في زيارة أئمة البقيع صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يجتمع هذان المعنيان أنهم أركان البلاد وأنهم ساسة العباد، وأنا قلت في أول البرنامج بأن هذين العنوانين متعانقان، وهذه زيارة أئمة البقيع وفي المفاتيح أيضاً، نخاطبهم: **أشهد أنكم قد بلغتم ونصحتم وصبرتم في ذات الله** – هذه هي سياستهم – **أشهد أنكم قد بلغتم ونصحتم وصبرتم في ذات الله وكُذِبتُم وأُسيئ إليكم فغفرتم** – وأقول وهُدِمت قبوركم وأُسيئ إلى حرمتكم حتى وأنتم غائبون عن هذه الدنيا – **أشهد أنكم قد بلغتم ونصحتم وصبرتم في ذات الله وكُذِبتُم وأُسيئ إليكم فغفرتم وأشهد أنكم الأئمة الراشدون المهتدون وأن طاعتكم مفروضة وأن قولكم الصدق وأنكم دعوتم فلم تُجابوا وأمرتم فلم تُطاعوا وأنكم دعائم الدين وأركان الأرض لم تزالوا بعين الله ينسخكم من أصلاب كل مطهر وينقلكم من أرحام المطهرات لم تدنسكم الجاهلية الجهلاء ولم تشرك فيكم فتن الأهواء طبتم وطاب منبتكم مَنَّ بكم علينا ديان الدين فجعلكم في بيوتٍ أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وجعل صلواتنا عليكم، وجعل صلاتنا عليكم رحمةً لنا وكفارة لذنوبنا إذ أختاركم الله لنا وطَيَّبَ خلقنا بما مّنَّ علينا من ولايتكم وكنا عنده مسمين بعلمكم معترفين بتصديقنا إياكم** – موطن الشاهد هنا في قول الزيارة:

أشهد أنكم قد بلغتم ونصحتم وصبرتم في ذات الله وكُذِبتُم وأُسيئ إليكم فغفرتم – إلى آخر الفقرات الأخرى لكن هذه الكلمات هي التي تتحدث عن سياسة آل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في هذا المجتمع الإنساني وهنا – **وأنكم دعائم الدين وأركان الأرض لم تزالوا بعين الله** – إلى آخر الزيارة، فهم دعائم الدين وهم أركان الأرض وقرئنا في الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** – وتلاحظون الزيارات تتعاضد في المعنى تتوافق في المضمون – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** – وهنا نفس هذه المضامين وإن أُخِذت من جهةٍ أخرى، ونحن في أجواء الزيارة الجامعة لأذهب إلى سورة البقرة وفي الآية السابعة والخمسين بعد المئتين، ونحن هكذا نخرج من الكتاب فنذهب إلى العترة، ونخرج من العترة فنذهب إلى الكتاب، نحن نسعى بين الكتاب والعترة ألا يسعى الحُجاج بين الصفا والمروة؟! ألا يسعى زوار الحسين بين حسينهم وعباسهم، فنحن نسعى بين الكتاب والعترة، نتردد بين الكتاب والعترة، أَلِهوىً في نفوسنا أم لأن مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله قال: تمسكوا بهما بالكتاب والعترة، ما إن تمسكتم بهما فإنكم لن تضلوا بعدي أبداً، ما إن تمسكتم بهما بالكتاب والعترة فإنكم لن تضلوا بعدي أبداً، فنحن نسعى ما بين الكتاب والعترة، والكتاب والعترة واحد، الكتاب هو العترة والعترة هو الكتاب ولكن الكتاب هو الكتاب والعترة هي

العترة، في الآية السابعة والخمسين بعد المئتين من سورة البقرة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ هذا عنوان للسياسة الإلهية، وهذه السياسة الإلهية أين تتجلى؟ تتجلى في سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كيف يسوسهم ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية تتحدث عن سياستين عن سياسةٍ إلهية وعن سياسةٍ طاغوتية ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم﴾ وقلنا السياسة هي التدبير، السياسة هي التربية، كيف يدبر الباري سبحانه وتعالى الذين آمنوا؟ هو وليهم، هو الذي يتولى أمورهم، هو الذي يدبر أمورهم ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ إذاً نحن نملك هنا في هذه الآية صنفين من السياسة، السياسة الأولى تُخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، والسياسة الثانية تُخرج أولياء الطاغوت من النور إلى الظلمات ثم تقودهم ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هذه الظلمات تستمر إلى النار.

فهناك سياستان إذاً، سياسة الإخراج من الظلمة إلى النور وسياسة الإخراج من النور إلى الظلمة، فسياسة الإخراج من الظلمات إلى النور يعني أن الذين أُخرجوا إلى النور كانوا يعيشون في الظلمات، وأما سياسة إخراج أولياء الطاغوت من النور إلى الظلمات هذا يعني أن أولياء الطاغوت كانوا يعيشون في النور، فأي نورٍ كان يعيش فيه أولياء الطاغوت؟ سؤال، ألا نتدبر في القرآن، هذه آية من آيات الكتاب العزيز، السياسة الأولى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ هذا واضح، الذين آمنوا كانوا في ظلمات فأخرجهم الله إلى النور، في ظلمات ما قبل الإيمان ما قبل الولاية لله ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني ما قبل عالم الولاية لله الظاهرة وإلا الولاية الباطنة موجودة في كل الموجودات، كانوا في الظلمات فانتقلوا إلى النور، أما أولياء الطاغوت كيف يخرجونهم من النور إلى الظلمات؟ فهل إن أولياء الطاغوت كانوا في النور، أيُّ نورٍ هذا وهم أولياء الطاغوت! البيان يأتينا هنا: الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني من تفسير شيخنا العياشي رحمة الله عليه، والحديث ينقله عبد الله بن أبي يعفور عن إمامنا الصادق، أقتطف منه موطن الحاجة لضيق الوقت ولكثرة المطالب التي أود أن أشير إليها، الإمام يقول – **أما تسمع لقول الله:** ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ **يخرجهم من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل**

إمامٍ عادل من الله – هذا هو قرآن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، وهذا هو تفسير مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد فحكموا وجدانكم، هل هناك من تفسير أجمل وأرق وأكثر بياناً من هذا التفسير ومن هذه الدقة ومن هذا العُمق، تفسير ينسابُ إلى القلوب إنسياباً، ينساب مع الفطرة انسياباً، يدخل إلى العقل هكذا من دون استئذان، يقتحم العقل اقتحاماً – **أما تسمع لقول الله:** ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ **يخرجهم من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل إمامٍ عادل من الله، قال الله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ لاحظوا المقطع الأول ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ هم مؤمنون ما هي ظلماتهم؟ الكلام يقول – **يخرجهم من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة** – لماذا؟ – **لولايتهم كل إمام عادلٍ من الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ **قال: قلت: أليس الله عنى بها الكفار حين قال:** ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؟ **قال: فقال الإمام: وأي نورٌ للكافر وهو كافر؟** – سؤال في غاية الدقة وفي غاية النباهة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ السائل يسأل يقول – **أليس الله عنى بها الكفار حين قال:** ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؟– الإمام يقول – **وأي نورٌ للكافر وهو كافر فأُخرِج منه إلى الظلمات؟** – يعني الكافر وهو كافر كان في نور وأخرج إلى الظلمات؟ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ الطاغوت عنوان واضح تعرفونه، الطاغوت عنوان أعداء الزهراء صلوات الله وسلامه عليها – **وأي نورٌ للكافر وهو كافر فأُخرج منه إلى الظلمات؟ إنَّما عنى الله بهذا أنهم** – هؤلاء أولياء الطاغوت – **كانوا على نور الإسلام** – عندهم شيء من الإيمان بمُحَمَّدٍ، بالقرآن، بالله – **إنَّما عنى الله بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلمَّا أن تولوا كل إمامٍ جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب لهم النار مع الكفار فقال:** ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ – ألا يدل هذا على أن القرآن قرآنهم وأن التفسير تفسيرهم صلوات الله وسلامه عليهم، هذه الآية لوحدها لو أن الإنسان وقف عندها لكانت سبباً لهدايته، فقط هذه الآية، قف عند هذه الآية وتدبر في معناها ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ **وأي نورٌ للكافر وهو كافر فأُخرِج منه إلى الظلمات؟ إنَّما عنى الله بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلما أن تولوا كل إمامٍ جائر** – يعني الطاغوت – **ليس من الله خرجوا**

بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر – والمعاني واضحة.

هذا جوهر سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد مع أتباعهم مع أوليائهم ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ يتجلى لنا من كل ذلك شيءٌ من معنى سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

وبقيت عندنا بقية في هذا الباب في نفس الاستئذان الذي قرأت منه شيئاً من عباراتهِ قبل قليل، هناك عباراتٌ جميلة جداً وواضحة تشخص لنا معنى سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، ونحن نقف مستأذنين فنقول – **اللَّهُمَّ إن هذه بقعةٌ طهرتها** – نحن عبيد وجئنا نستأذن على ساستنا على موالينا، هو هذا الاستئذان هنا، نحن عبيدهم ونحن الآن نقف على أعتابهم فنستأذن هم ساستنا هم ساسة العباد يا ساسة العباد – **اللَّهُمَّ إن هذه بقعةٌ طهرتها** – حين تقفون على أعتاب عليٍّ يا زوار عليٍّ وحين تقفون على أعتاب حُسينٍ يا زوار حُسينٍ – **اللَّهُمَّ إن هذه بقعةٌ طهرتها وعَقوةٌ شرفتها ومعالم زكيتها حيث أظهرت فيها أدلة التوحيد وأشباح العرش المجيد الذين اصطفيتهم** – هم أدلة التوحيد في العوالم العليا وهم أشباح العرش المجيد – **الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام** ﴿ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ الذي يؤتى المُلك ماذا يُقال له؟ يُقال له مَلِك ﴿ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ **الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام** – تلاحظون التعانق بين الآيات بين الروايات بين الزيارات، وهذا يكشف عن صحتها، وإلا كيف تتعانق هذا التعانق الواضح، وكيف يشد بعضها بعضاً كالبنيان المرصوص، فتأتي الحقائق بينة واضحة جزلة، وتأتي تصك مسامع أهل الحق فتفرحهم وتصك مسامع أهل الباطل فتغيضهم – **الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام واخترتهم رؤساء لجميع الأنام** – هذا الاستئذان موجود في المفاتيح لكن الكثير لا يقرءونه – **الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام واخترتهم رؤساء لجميع الأنام.**

وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ ... وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ – المعنى واحد – **الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام واخترتهم رؤساء لجميع الأنام وبعثتهم لقيام القسط في ابتداء الوجود إلى يوم القيامة ثم مننت عليهم باستنابة أنبياءك لحفظ شرائعك وأحكامك فأكملت باستخلافهم رسالة المُنذرين كما أوجبت رياستهم في فِطَر المُكلفين** – ونحن عندنا في الروايات لَمَّا يسألون الإمام الصادق ما معنى فطرة الله؟ ما هو الشيء المودع في الفطرة قال: **لا إله إلا الله مُحَمَّد، رسول الله، عليٌّ ولي الله** – الفطرة التوحيد الإيمان بالله، الإيمان بِمُحَمَّد الإيمان بعلي، هكذا جاء في رواياتنا – **كما أوجبت رياستهم في فِطَر المكلفين** – إلى أن يقول الاستئذان – **الحمد لله الذي مَنَّ علينا**

بِحُكام – هؤلاء هم نفسهم الملوك والرؤساء الذين مرَّ ذكرهم – **الحمد لله الذي مَنَّ علينا بِحُكامٍ يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان ولا إله إلا الله الذي شرفنا بأوصياء يحفظون الشرائع في كل الأزمان، والله أكبر الذي أظهرهم لنا بمعجزاتٍ يعجز عنها الثقلان** – إلى أن نقول – **اللَّهُمَّ فلك الحمدُ والثناء العلي كما وجب لوجهك البقاء السرمدي وكما جعلت نبينا خير النبيين ومُلوكنا** – مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد – **وملوكنا أفضل المخلوقين واخترتهم على علم على العالمين وفقنا للسعي إلى أبوابهم** – نحن عبيدهم نسعى إلى أبوابهم – **وفقنا للسعي إلى أبوابهم العامرة إلى يوم الدين وأجعل أرواحنا تحنّ إلى موطيء أقدامهم ونفوسنا تهوى النظر إلى مجالسهم وعرصاتهم حتى كأننا نخاطبهم في حضور أشخاصهم فصلى الله عليهم من سادةٍ غائبين ومن سلالةٍ طاهرين ومن أئمة معصومين** – هؤلاء هم سادتنا وهم أوليائنا، هم ساسة العباد وهم أركان البلاد، لهم الطاعة الواجبة نعترف لهم ونقر لهم بذل العبودية وبفرض الطاعة، نحن عبيدكم وأبناء عبيدكم وأبناء إمائكم المقرّون بالرق كما مر علينا في الزيارة السابعة المطلقة من زيارات سيد الشهداء في المفاتيح – **نحن عبيدكم وأبناء عبيدكم وأبناءُ إمائكم المُقرون بالرق والتاركون للخلاف عليكم** – وهذا هو الكافي كافيكم وهذه الأحاديث أحاديثكم.

الرواية: **عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الأئمة هل يجرون في الأمر والطاعة مجراً واحداً؟! قال: نعم** – هم كلهم سادةٌ ولذلك الزيارة تخاطبهم بنفس الوصف بنفس الخطاب – **وساسة العباد** – يعني أنهم كلهم في نفس هذه المرتبة – **عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله** – هذا هو الجزء الأول من الكافي الشريف – **قال: سألته عن الأئمة هل يجرون في الأمر والطاعة مجراً واحداً؟! قال: نعم** – ومن قبل روى زرارةُ – **عن أبي جعفرٍ عليه السلام فقال: ذروة الأمر** – إمامنا الباقر يقول – **ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للإمام بعد معرفته** – فهناك طاعةٌ وهناك معرفة وهذا هو الذي يدفعنا للحديث وللتبصر وللتدبر وللتفكر في الزيارة الجامعة الكبيرة، هذا هو الذي يدفعنا، هذا إمامكم الباقر هو الذي يقول، ماذا يقول؟

ذروة الأمر – أعلى شيء – **ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للإمام بعد معرفته** – من هنا نحن نقضي هذه الأوقات ونحن نتدبر في كلمات إمامنا أبي الحسن الهادي صلوات الله وسلامه عليه – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** – والمعاني متعانقة، الاختلاف في اللفظ، والاختلاف في اللفظ شيءٌ يسير، شيءٌ مئونته يسيره، المعاني كلها تشيرُ إلى تلكم الحقيقة الواسعة إلى حقيقة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد والتي ظهرت مجاليها في كل جزءٍ من أجزاء هذا الوجود، فهم مجلى أسماء الله الحسنى وهم المرآة الأولى والمرآة الأعظم التي تجلى الله سبحانه وتعالى فيها – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** –

الأركان جمعٌ لركن والركن في لغة العرب هو الجانب العظيم الجانب القوي، حين تقول أركان البناء، أركان البناء هي الجهات القوية، الجهات الأساس التي يقوم عليها البناء، كما نقول أركان الصلاة، أركان الصلاة هي الأجزاء الفقهية التي لو حدث فيها خلل لَمَا بقي منها بقية تسمى صلاة، يعني لو أن الإنسان جاء بصلاته فأخل بالأركان أليس هناك في الأحكام الشرعية ما يسمى عندنا في الصلاة، الصلاة التي هي عمود الدين، أليس فيها أركان؟ هذه الأركان إذا حدث فيها خلل، حينما يحدث الخلل في الأركان فإن الخلل سيتسرب إلى كل الصلاة فتنتهي صورة الصلاة، لذلك لابد من إعادتها، والأحكام الشرعية واضحة في هذا المعنى إنَّما جئت بهذا المعنى على سبيل المثال، البناءُ أيضاً إذا ما هُدّت أركانه فإنه لن يبقى أيُّ أثرٍ من ذلك البناء ينتهي البناء.

الأركانُ جمعٌ لركن والركن هو الجانب القوي هو الجانب المتين هو الجانب العظيم – **وَأَرْكَانَ الْبِلادِ** – والبلاد جمعٌ لبلد أو لبلدة قد يراد منها المدن والقرى، وقد يراد منها جميع الأرض، فحتى الأرض الخالية من الناس يقال لها في لغة العرب بلد وبلاد، البلاد هي الأرض، هذه الأرض التي نعيش عليها هي هذه البلاد – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلادِ** – البلاد هنا جاء ذكرها باعتبار مر في العنوان الذي قبل هذا العنوان – **وَساسَةَ الْعِبادِ** – فأين يعيش العباد؟ ألا يعيشون في البلاد؟ وإلا فأهل البيت هم أركان الأرض، أهل البيت هم أركان الوجود، نحن مثلاً حين نقرأ في الكافي الشريف في الجزء الأول أن الأئمة هم أركان الأرض، بابٌ أن الأئمة هم أركان الأرض الرواية: **عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه** – ماذا يقول إمامنا الصادق؟ – **يقول: ما جاء به عليٌّ عليه السلام أَخُذ به وما نهى عنه أنتهي عنه، جرى له من الفضل مثلما جرى لمحَمَّدٍ صلى اله عليه وآله، ولمحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله الفضلُ على جميع من خلق الله عزَّ وجلَّ المُتَعَقِّبُ عليه في شيءٍ من أحكامه كالمُتَعَقِّب على الله** – يعني المتعقب الذي يشكل على أحكام عليٍّ على قول عليٍّ – **المُتَعَقِّبُ عليه في شيءٍ من أحكامه كالمُتَعَقِّب على الله وعلى رسوله والراد عليه في صغيرةٍ أو كبيرة على حد الشرك بالله، كان أمير المؤمنين عليه السلام بابُ الله الذي لا يؤتى إلا منه وسبيله الذي من سلك بغيره هلك وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد جعلهم الله أركان الأرض** – هم أركانُ الأرض والبلادُ هنا – **وَأَرْكَانَ الْبِلادِ** – البلاد هنا هي الأرض ببرها وببحرها، بسهلها وبجبلها، بغورها وبنجدها، بمائها وبترابها – **وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها** – أن تميد أن تميل، يعني أن يختل نظامها، أن تميد بأهلها يعني أن يختل نظامها الكوني، مَيدان الأرض هو الاختلال الكوني – **أن تميد بأهلها وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، وكان أميرُ المؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما يقول: أنا قسيم الله**

بين الجنة والنار وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم – إلى آخر كلماته الشريفة موطن الشاهد هنا – **جعلهم الله** – جعل الأئمة – **أركان الأرض أن تميد بأهلها وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى** – ركنية الأرض هنا هي حجيتهم، وهذه الحجية أوسع من الكلام ومن البحث في قضية حجيةٍ شرعية بإقامة أدلةٍ أو براهين قوليه ولفظية لإثبات الحق، هذه حجية واسعة ومطلقة، هذه الحجية في نفس الفطرة، قبل قليل قرأنا – **وجعلت رياستهم في فِطِر المُكلفين** – هي هذه الحجية الحقيقية لأهل البيت، وهذا هو معنى ركنيتهم للأرض وأنهم أركان الأرض، في نفس الكافي الشريف هناك نصوص كثيرة أقتطف بعضاً منها.

الروايةُ: **عن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أتبقى الأرضُ بغير إمام؟! قال: لو بقيت الأرض بغير إمامٍ لساخت** – الحديث هنا ليس عن إمامةٍ سياسية كما يفهمها الناس، الحديث هنا عن إمامةٍ كونية، أن الأرض تسيخ هذا أثرٌ تكويني وليس أثراً اجتماعي وليس أثراً أخلاقياً – **أتبقى الأرضُ بغير إمام؟! لو بقيت الأرض بغير إمامٍ لساخت** – والمراد هنا بقيت الأرض بغير إمام ليس المراد الجانب الجسدي الشخصي للإمام وإنَّما ارتباطُ الأرض ارتباط بالإمامة الكونية لأن الإمام صلوات الله وسلامه عليه هو قلبُ هذا الكون، وكل المكونات تمدُ إليه بصلة بارتباط، هذه الصلة الكونية من الفيض الإلهي أليس هم السبب المتصل بين الأرض والسماء، هم قلبُ الكون ومنهم تمتد الأسباب لثبات هذا التكوين، إذا انقطعت الصلة بين كل مُكُوِّن من هذه المُكَوِّنات وبين كل مُكَوَّن من هذه المُكَوَّنات فإن ذلك المكون سيسيخ سينتهي، وهذا هو المعنى، ليس القضية هنا ساخت الأرض في البعد السياسي، الحديث عن أرض تسيخ وسيخان الأرض مسألة كونية مادية – **أتبقى الأرضُ بغير إمام؟!** – هذه الإمامة الكونية – **قال: لو بقيت بغير إمامٍ لساخت.**

عن مُحَمَّد بن الفُضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام – والروايات من الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف – **عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلتُ له: أتبقى الأرضُ بغير إمام؟! قال: لا، قلتُ: فإنا نروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنها لا تبقى بغير إمامٍ إلا أن يسخط الله تعالى على أهل الأرض أو على العباد، فقال: لا، لا تبقى إذاً لساخت** – الحديث عن إمامة كونية، لا يمكن أن تتصور الأرض من دون وصول الفيض الكوني من الإمام الكوني.

عن أبي هراسه عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: لو أن الإمام رُفع من الأرض ساعة – الإمام باللحاظ الكوني لا بلحاظ الإمامة الدينية لبيان الأحكام الشرعية، هذا جانب من جوانب الإمامة – **لو أن الإمام رُفع من الأرض ساعة لمَاجت بأهلها كما يموج البحر بأهله** – هذا هو معنى أنهم أركان الأرض، أنهم

أركان البلاد في البعد التكويني، وإلا ما معنى أن الأرض تسيخ؟ ألم يقتل الأئمة؟ قتلوا وجرى عليهم ما جرى لماذا لم تسخ الأرض؟ ما ساخت الأرض وما ماجت لأي سبب؟ لأن الإمامة الكونية لا تُقتل، الإمام يقتل ظاهراً يقتل في هذه البنية البشرية الظاهرة، أما الإمامة الكونية التي هي جوهر ثبات الكون هذه الإمامة ثابتة وما أهل البيت إلا مظاهر بشرية لجوهرهم الأصلي للنور الأول فلذلك القتل يجري عليهم، لكن الأرض ما ساخت، لأن إمامتهم الكونية لا تُقتل وإنَّما تصل السيوف، تصل السيوف وبرغبتهم، تصل السيوف وبإرادتهم، هذا الكلام وإن قاله شاعرٌ من شعراء أهل البيت:

إن كان دينُ مُحَمَّدٍ لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني

هذا الكلام وإن قاله شاعرٌ من شعراء أهل البيت، ربما الكثير يتصورون أن هذا البيت لسيد الشهداء، هذا البيت لأحد الشعراء المتأخرين للشيخ محسن أبو الحب من أدباء محبي أهل البيت ومن شعراء الحسين، لكن هذا المعنى هو قراءةٌ وإدراكٌ من قِبل الشاعر للحقيقة التي كانت في الطفوف، لو لم تكن حقيقة الحسين تقول يا سيوف خذيني لَمَا استطاعت السيوف أن تدنو منه، وهذا في كل الأئمة، الحديث هنا في هذه الأحاديث عن الإمامة الكونية لا عن الإمامة البشرية الظاهرة لا عن المقامات الدنيوية التي يمكن أن تُسلب كما سلبت الخلافة من عليٍّ، لكن هل يستطيع أحدٌ أن يسلب الإمامة الكونية؟ هذا غير ممكن، هذا من المستحيلات العقلية، لا يمكن أن نتصور أن أحداً يستطيع أن يسلب الإمامة الكونية فذلك يؤدي إلى فساد التكوين، ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى لأنه هو الذي وهب إليهم الإمامة الكونية، وهذه الروايات تتحدث عن جهةٍ عن جانب من هذه المعاني – **لو أن الإمام رُفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله.**

عن الوشاء قال: سألتُ أبا لحسن الرضا عليه السلام هل تبقى الأرضُ بغير إمام؟! قال: لا، قلتُ: إنا نروي أنها لا تبقى إلا أن يسخط الله عزَّ وجلَّ على العباد؟ قال: لا، لا تبقى إذاً لساخت – وهذا هو معنى كونهم أنهم أركان الأرض، هم أركان الأرض وأركان السماء، هم أركان الوجود، هم أركان كل شيء، هم أركان الحقيقة بكاملها ولا غرابة في ذلك، نحن نقرأُ في دعاء شهر رجب ومراراً قرأتُ منه نصوصاً لأنه من أمهات أدعية أهل البيت العميقة، ماذا نقرأ في هذا الدعاء الشريف؟ – **اللهم إني أسألكُ بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك المأمونون على سرك** – من هم هؤلاء؟ – **المأمونون على سرك المستبشرون بأمرك الواصفون لقدرتك المعلنون لعظمتك أسألك بما نطق فيهم** – في هؤلاء – **من مشيتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك** – هم أركان التوحيد، ما قيمة أن نقول أنهم أركان الأرض؟ ما قيمة أن نقول أنهم أركان البلاد؟ وإنَّما جاء ذكر البلاد كعنوان يشير إلى معنىً أوسع، وإنَّما جاء

هذا العنوان متناغماً مع العبارة التي قبلها وساسة العباد، ولأن الزيارة تريدُ أن تحدث الإنسان بما هو إنسان على وجه الأرض، وإلا المعاني فيها إشارات أعمق وأعمق وأعمق، فما قيمة أن نقول أنهم أركان الأرض وهنا العبارةُ صريحة – **فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك** – هم أركان التوحيد وأركان كل شيء وفي نفس الدعاء – **أعضادٌ وأشهاد** – هم آل مُحَمَّد – **ومُناةٌ وأذواد وحَفَظَةٌ ورواد فبهم ملأت سمائك وأرضك** – هم أركان الوجود، هم ليس أركاناً للبلاد فقط، هم ليس أركاناً للأرض فقط – **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت** – وهذا معنى أنهم أركانُ التوحيد، وهذا معنى قول عليٍّ صلوات الله عليه: **ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه.** وهنا معانٍ عميقة لا يسع المجال لذكرها لأنني لو ذكرتها وتركتها يُساء فهمها، ولو أردتُ أن أدخل فيها فأنا بحاجةٍ إلى وقتٍ طويل لشرحها ولكنني أكتفي بالإشارة إليها فقط من بعيد، فأقول هذا المعنى الموجود هنا – **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت** – هذا هو معنى – **فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك** – وهو نفس المعنى الذي تقرأونه في دعاء كميل بن زياد رضوان الله تعالى عليه، دعاء سيد الأوصياء، ماذا نقرأ فيه؟ العبارات الأولى من الدعاء:

اللهم إني أسألكُ برحمتك التي وسعت كل شيء وبقوتك التي قهرت بها كل شيء وخضع لها كل شيء – فبهم ماذا ملأت؟ ملأت سماواتك وأرضك – **اللهم إني أسألكُ برحمتك التي وسعت كل شيء وبقوتك التي قهرت بها كل شيء وخضع لها كل شيء وذل لها كل شيء وبجبروتك التي غلبت بها كل شيء وبعزتك التي لا يقوم لها شيء وبعظمتك التي ملأت كل شيء** – فبهم ملأت سماواتك وأرضك، فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت – **وبعظمتك التي ملأت كل شيء وبسلطانك الذي علا كل شيء وبوجهك الباقي** – وهم وجهه – **بعد فناء كل شيء، وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء** – وهم أركان كل شيء، ألم نقرأ: فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك، وأركان التوحيد هي أركان كل شيء – **وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء وبعلمك الذي أحاط بكل شيء وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء يا نورُ يا قدوس يا أول الأولين ويا آخر الآخرين** – فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** – وهذا شيءٌ يسير يسيرٌ يسيرٌ يسير مما جاء في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ووالله لو بقيتُ أتصفح زياراتهم وأدعيتهم وأحاديثهم وكلماتهم لانقضى العمرُ وما قضيتُ شيئاً من ذلك، كل هذا إلى أي شيءٍ يشير؟

يشيرُ أولاً إلى عظمتهم.

ويشيرُ ثانياً إلى عجزنا عن إدراك حقائقهم.

ويشيرُ ثالثاً إلى تقصيرنا في عدم السعي لمعرفتهم وفي عدم العيش معهم ليل نهار، في أجوائهم وفي أفياء ظلالهم وأنوارهم وإنَّما أتحدثُ عن معرفتهم، أتحدثُ عن علومهم، أتحدثُ عن حديثهم، أتحدثُ عن كل ما يوصلنا ويربطنا بهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأيضاً ينبئنا عن خسة وحقارة ونجاسة ولؤم أعداءهم، وأيضاً ينبئنا ذلك عن مظلوميتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

سادتي آل مُحَمَّد أنتم قادة الأمم وأنتم أولياء النعم وأنتم عناصر الأبرار وأنتم دعائم الأخيار وأنتم ساسةُ العباد وأنتم أركان البلاد وأنتم وأنتم وأنتم، وكل ذلك قليلٌ في حقكم، وكل ذلك نزرٌ يسيرٌ في لا أقول في فناءكم وإنَّما أقول في جوار فناءكم صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا هو سرُ ارتباطنا بكم، وهذا هو سرُ قبول أعمالنا، وهذا هو سرُ توقف الهداية والدين عليكم فالهداية والدينُ جزءٌ من سياستكم، نحن نعيشُ في الأرض، حاكم الأرض الحاكم الذي يحكم في دولة من الدول، الملك الذي يحكم في دولةٍ من الدول حين يصدرُ قراراً هذا القرار كل من يخالفه مهما جاء من عملٍ ومهما جاء من أمرٍ فإن ذلك لا يقبله ذلك الملك ولا تقبله الحكومة إلا أن يكون تحت يافطة القرار الملكي، هذا الناس تقبله لكن وأنتم ملوك الخلق حينما نقول بأن أعمال العباد لا تقبل إلا بولايتكم وهذا هو قانونكم وهذه هي سياستكم لا يقبل ذلك أحدٌ منا، وذلك من سوء توفيقهم – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** – قانونكم سياستكم هي هذه، أن هذه الأعمال لا تقبل إلا بولايتكم، وهذا هو الجانبُ الذي يهمنا من سياستهم، نحن الآن نتحدث عن أنهم ساسةُ العباد وأنهم أركان البلاد فبينّا صوراً جوانب من معاني هذه السياسة ومن معاني هذه الركنية التي أشارت إليها الزيارة، لكن الذي يتعلق بنا، ما هو هذا الشيء الذي يتعلق بنا من سياستهم للعباد؟ أقتطف نصوصاً بحسب ما يسنح به المقام.

الرواية عن مُحَمَّد بن جعفر بن مُحَمَّد عن أبيه – مُحَمَّد هو من أبناء إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، وهذا هو الجزء السابع والعشرون من بحار الأنوار، ينقل مُحَمَّد عن أبيه الصادق عليه السلام عن آبائه – **قال: نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا مُحَمَّد السلام يُقرئك السلام ويقول: خلقت السماوات السبع وما فيهن والأرضين السبع ومن عليهن وما خلقتُ موضعاً أعظم من الركن والمقام ولو أن عبداً دعاني هناك مُنذ خلقت السماوات والأرضين ثم لقيني جاحداً لولاية عليٍّ لأكببته في سقر.**

الروايةُ عن إمامنا الصادق – **إن عليّاً عليه السلام كان يقول: لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين رجلٌ**

يزدادُ كل يومٍ إحسانَ ورجلٌ يتدارك سيئته بالتوبة وأنى له بالتوبة والله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قَبِل الله منه إلا بولايتنا أهل البيت.

الروايةُ **عن إمامنا أبي جعفر يرويها الحارثُ بن يحيى في قول الله:** ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لمن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ – هذه الآية تحتاج إلى وقفة ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لمن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ تاب وآمن وعمل صالحاً وهو غير مهتدي ثم اهتدى، الآية تحتاج إلى وقفة، تلاحظون: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لمن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ يعني هو تاب وليس بمهتدي، وآمن وليس بمهتدي، وعمل صالحاً وليس بمهتدي ثم اهتدى، أيَّةُ هداية هذه؟ قطعاً هو حين تاب وحين آمن وحين عمل صالحاً كان مهتدياً ولكن مرتبة من مراتب الهداية ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لمن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ – **يقول إمامنا الباقر: ألا ترى كيف أشترط؟!** – يعني كيف أن الله أشترط الهداية ثم اهتدى – **ولم تنفعه التوبةُ أو الإيمانُ والعمل الصالح** – التوبة ما نفعت ولا الإيمان ولا العمل الصالح – **ألا ترى كيف أشترط؟! ولم تنفعه التوبةُ أو الإيمانُ والعمل الصالح حتى اهتدى، واللهِ لو جهد أن يعمل** – لو بذل كل الجهد – **والله لو جَهَدَ أن يعمل ما قبل منه حتى يهتدي، قال: قلت: إلى من جعلني الله فداك؟ قال: إلينا** – ثم اهتدى إلينا، وإلا ماذا ينتفع من توبته ومن إيمانه ومن عمله الصالح – **والله لو جهد أن يعمل ما قبل منه حتى يهتدي، قلت: إلى من جعلني الله فداك؟ قال: إلينا.**

هذي سطور من كتاب أمير المؤمنين إلى أهل مصر وربما هناك من إخواني الآن في مصر يستمعون إلي، هذه كلماتُ عليٍّ إلى أبناء مصر، فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام مع مُحَمَّد بن أبي بكر رضوان الله تعالى عليه إلى أهل مصر، هذا كتاب سيد الأوصياء مع مُحَمَّد بن أبي بكر حين ولاه على مصر، هذه رسالة من سيد الأوصياء إليكم أبناء النيل ماذا يقول سيد الأوصياء؟ – **يا عباد الله إن اتقيتم الله وحفظتم نبيكم في أهل بيته** – بهذين الشرطين – **يا عباد الله إن اتقيتم الله وحفظتم نبيكم في أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عُبِد وذكرتموه بأفضل ما ذُكِر وشكرتموه بأفضل ما شُكِر وأخذتم بأفضل الصبر والشكر واجتهدتم أفضل الاجتهاد** – كلماتٌ جميلة في غاية الجمال، أعيدُ قرأتها على مسامعي أولاً وعلى مسامعكم ثانياً – **يا عباد الله إن اتقيتم الله وحفظتم نبيكم في أهل بيته** – بهذا الشرط – **فقد عبدتموه بأفضل ما عُبِد وذكرتموه بأفضل ما ذُكِر وشكرتموه بأفضل ما شُكِر وأخذتم بأفضل الصبر والشكر واجتهدتم** – الاجتهاد هنا غايةُ العبادة، غايةُ العمل الصالح – **واجتهدتم أفضل الاجتهاد وإن كان**

غيركم أطول منكم صلاة وأكثر منكم صياماً – بحسب ظاهر الأمر – **وإن كان غيركم أطول منكم صلاة وأكثر منكم صياماً فأنكم اتقى لله منه** – التقوى، قلت التقوى ولاية علي – **فأنكم اتقى لله منه وأنصحُ لأولي الأمر** – إذاً العبادة الأفضل والذكر الأفضل والشكرُ الأفضل أين هو؟ في ولاية عليّ – **فقد عبدتموه بأفضل ما عُبِد وذكرتموه بأفضل ما ذُكِر وشكرتموه بأفضل ما شُكِر.**

الروايات كثيرةٌ ولا يسع المجال لتناولها لكنني مثلاً أقرأُ هذه الرواية: **عن يونس بن عبد الجبار عن علي بن الحسين** – عن زين العباد – **قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بالُ أقوامٍ إذا ذكر عندهم آل إبراهيم فرحوا واستبشروا وإذا ذكر عندهم آل مُحَمَّد اشمأزت قلوبهم** – اللهم إنا نعوذُ بك في هذا الشهر الشريف أن نكون من هؤلاء، رسول الله يقول – **ما بالُ أقوامٍ إذا ذُكِر عندهم آل إبراهيم فرحوا واستبشروا وإذا ذُكِر عندهم آل مُحَمَّد اشمأزت قلوبهم والذي نفسُ مُحَمَّداً بيده لو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً** – هذا مُحَمَّد يُقسِم ولست أنا، والذي ينقلُ عنه ابنه السجاد – **والذي نفسُ مُحَمَّداً بيده لو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما قَبِلَ الله ذلك منه حتى يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي.**

عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا عليّ بن الحسين زينُ العابدين: أيُ البقاعِ أفضل؟ فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال: إن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو أن رجلٌ عُمِّرَ ما عُمِّر نوحٌ في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك الموضع ثم لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً – النصوص كثيرة جداً والأحاديث وفيرة جداً ولكن المقام لا يسعُ لذكر حتى الجزء اليسير منها.

عن إسحاق بن غالب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: عَبَدَ الله حبرٌ من أحبار بني إسرائيل حتى صار مثل الخلال – وكأنه عود، الخلال هذا العود الذي تنظف به الأسنان، قيل له خِلال لأنه في غاية الدقة، لأنه في غاية الرفع بحيث نستطيع أن ندخله بين الأسنان وبين تجاويف الأسنان – **عَبَدَ الله حبرٌ من أحبار بني إسرائيل حتى صار مثل الخِلال** – مثل هذا العود الذي نخلل به أسناننا – **فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى نبي زمانه قل له: وعزتي وجلالي وجبروتي** – أيُ قَسَمٍ هذا؟ الله يقسم – **وعزتي وجلالي وجبروتي لو أنك عبدتني حتى تذوب كما تذوب الألية في القدر** – الألية واضح معناها قطعة الشحم التي توجدُ في آخر جسم الخروف، التي تقوم مقام الذنب في سائر الحيوانات، الغنم الخرفان العربية ليست لها أذناب وإنَّما لها ألية – **وعزتي وجلالي وجبروتي لو أنك عبدتني حتى تذوب كما تذوب الألية في القدر ما قَبِلتُ منك حتى تأتني من الباب الذي أمرتك** – هذا هو السر، السرُ هنا – **وعزتي وجلالي**

وجبروتي لو أنك عبدتني حتى تذوب كما تذوب الألية في القدر ما قبلتُ منك حتى تأتني من الباب الذي أمرتك.

الرواية: **عن المعلى بن خنيس عن إمامنا الصادق يقول: يا معلى لو أن عبداً عبد الله مئة عامٍ ما بين الركن والمقام يصوم النهار ويقوم الليل حتى يسقط حاجباه على عينيه وتلتقي تراقيه هرماً** – التراقي يعني ينطبق هذا الجانب على هذا الجانب، حتى لو وصل حاله هكذا، التراقي هي هذه عظم الترقوة هو هذا العظم – **لو أن عبداً عَبَدَ الله مئة عامٍ ما بين الركن والمقام يصوم النهار ويقوم الليل حتى يسقط حاجباه على عينيه وتلتقي تراقيه هرماً جاهلاً لحقنا لم يكن له ثواب** – طال بنا الوقت وإن شاء الله في مناسبات أخرى أُتِم الحديث فالحديثُ عن آل مُحَمَّدٍ لا ينتهي ولن ينتهي، وتنتهي أيامنا وتنتهي حياتنا ولا ينتهي الحديثُ عن آل مُحَمَّد، لكننا ندعو الله سبحانه وتعالى أن تنتهي حياتنا ونحن نُردد في القلوب، في العقول، في الوجدان، في الشفاه نردُ مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد.

الرواية: **عن ميسر أو مُيسر بياع الزبطي، قال: دخلتُ على أبي عبد الله** – دخل على إمامنا الصادق – **فقلت له: جُعِلتُ فداك إن لي جاراً لست أنتبه إلا بصوته** – يعني ينتبه مثلاً على وقت السحر، وقت الإمساك، أو على وقت الصلاة عند الصباح، عند الظهر – **إن لي جاراً لست أنتبه إلا بصوته إما تالياً كتابه يكرره ويبكي ويتضرع وإما داعياً، فسألت عنه في السر والعلانية فقيل لي إنه مجتنبٌ لجميع المحارم، قال: فقال: يا ميسر أو يا مُيسر يعرف شيئاً مما أنت عليه؟!** – تنتبهون للوصف ميسر هذا يقول للإمام – **إن لي جاراً لست أنتبه إلا بصوته** – عند السحر عند الفجر عند أوقات الصلوات – **إما تالياً كتابه يكرره ويبكي ويتضرع وإما داعياً فسألت عنه في السر والعلانية فقيل لي إنه مجتنبٌ لجميع المحارم، قال: فقال: يا ميسر يعرف شيئاً مما أنت عليه؟!** – من ولاية عليّ – **قال: قلتُ: الله أعلم** – تقية لا يستطيع أن يفاتحه بشيء – **قال** – هو ميسر يقول – **فحججت من قابل** – يعني السنة القادمة – **فسألتُ عن الرجل فوجدته لا يعرفُ شيئاً من هذا الأمر فدخت على أبي عبد الله** – يعني لَمَّا رجع إلى أهله سأل عن الرجل فأخبروه بأنه لا يعرفُ شيئاً من هذا الأمر، ليس على ولاء عليٍّ، في السنة القادمة يقول دخلت على الإمام – **فأخبرته بخبر الرجل، فقال لي مثلما قال في العام الماضي يعرفً شيئاً مما أنت عليه؟! قلت: لا، قال: يا ميسر أيُ البقاع أعظم حرمة؟ قال: قلتُ: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، قال: يا ميسر ما بين الركن والمقام روضةٌ من رياض الجنة وما بين القبر والمنبر** – يعني في المدينة ما بين قبر النبي – **يا ميسر ما بين الركن والمقام روضةٌ من رياض الجنة، وما بين القبر والمنبر روضةٌ من رياض الجنة ولو أن عبداً عَمَّره الله فيما بين الركن والمقام وفيما بين القبر والمنبر**

يعبده ألف عام ثم ذُبِح على فراشه مظلوماً كما يُذبح الكبش الأملح – ذُكر هنا الكبش الأملح لأن الكبش الأملح حين يراد ذبحه يكونُ هادئاً لا يدفع ذابحه كبقية أنواع الكباش أو الكبوش – **ثم ذُبِح على فراشه مظلوماً كما يُذبح الكبش الأملح ثم لقي الله عزَّ وجلَّ بغير ولايتنا لكان حقيقاً على الله عزَّ وجلَّ أن يكبه على منخريه في نار جهنم** – فقط هذه الرواية، أنا قلت أكتفي برواية ميسر، هذه الرواية مر علينا حديث يشابهها لكنني أختم الحديث بها:

عن ابن مسكان عن أبي عبد الله عن آباءه عليهم السلام قال: مرَّ موسى بن عمران برجلٍ رافعٍ يده إلى السماء يدعو فأنطلق موسى في حاجته فغاب عنه سبعة أيام ثم رجع إليه وهو رافعٌ يديه يدعو ويتضرع ويسألُ حاجته فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه يا موسى لو دعاني حتى يسقط لسانه – ليس سبعة أيام – **لو دعاني حتى يسقط لسانه ما استجبتُ له حتى يأتيني من الباب الذي أمرته به** – وهذا هو السر في هذا المعنى وإن كانت هناك مطالب أخرى كان بودي أن أذكرها وأن أشرح مضامينها ولكنني أكتفي بهذا القدر وأقول سادتي آل مُحَمَّد:

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلمِ، وَمُنْتَهَى الحلم، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ، وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ.

إنَّما أكرر هذه العناوين لأنها نِعَمٌ من نِعَم الله علينا أن وفقنا أن نعيش في أجواء هذه العناوين كل عنوان من هذه العناوين وكل دقيقة من الدقائق التي صرفناها ونحن نعيشُ في ظلال هذه العناوين نعمةٌ لا نستطيعُ أن نشكرها ولا نستطيعُ أن نؤدي حقها.

سلامٌ عليكم سادتي آل مُحَمَّد يا ساسة العباد ويا أركان البلاد.

وسلامٌ عليكم أنتم يا أشياعهم ويا أولياءهم، ولقاءنا يتجدد دائماً على مودّة عليٍّ وآل عليّ.

أسألكم الدعاء وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ